SSC STRATIGIC مركز
STUDIES الدراسات
CENTER الإستراتيجية
جامعة الدفاع الوطني

جامعة الدفاع الوطني

تأصيل الهوية الوطنية السعودية
(دراسة في الفلسفة السياسية)



فريق المراجعة الاستراتيجية
Strategic Review team (SRT)

2026

تأصيل الهوية الوطنية السعودية
(دراسة في الفلسفة السياسية)

SSC-F-21/ 2026

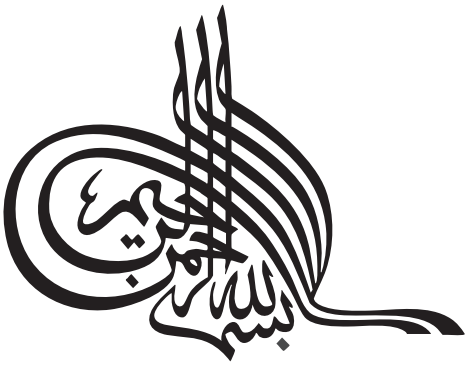
العميد البحري الركن
سلمان بن حسين الحربي

جامعة الدفاع الوطني
مركز الدراسات الاستراتيجية
الطبعة الثانية، أغسطس 2026

تعبر الآراء والتحليلات الواردة في هذه الورقة عن رأي الكاتب، ولا تعكس بالضرورة الموقف الرسمي لمركز الدراسات الاستراتيجية أو جامعة الدفاع الوطني.
جميع حقوق النشر محفوظة لمركز الدراسات الاستراتيجية، ولا يجوز إعادة نشر هذه الورقة أو أي جزء منها إلا بالإشارة إلى المصدر.

إيماناً بأهمية النشر في إثراء الحوار الفكري ودعم المكتبة
الوطنية بنتاج علمي متميز،
يسرّ مركز الدراسات الاستراتيجية في جامعة الدفاع الوطني
تقديم هذا الإصدار كمساهمة في دعم المعرفة وتبادل الآراء.
حيث نسعى دائماً إلى فتح باب النقاش العلمي؛
لذا، نرحب بقبول الردود والمشاركات والمساهمات الفكرية
التي تثري هذا الموضوع من مختلف الزوايا.

للتواصل
مركز الدراسات الاستراتيجية في جامعة الدفاع الوطني


بسم الله الرحمن الرحيم

الهوية الوطنية هي

ذاكرة الأمة وروحها الجماعية



الفهرس

فهرس المحتويات

عدد	الموضوع	الصفحة
١ـ	مدخل (أسئلة الهوية الوطنية).	٢ـ١
٢ـ	ركائز الهوية الوطنية.	٦ـ٣
٣ـ	نشأة الهوية الوطنية في الفكر الغربي.	٨ـ٦
٤ـ	الهوية اختيار أم واقع؟.	٩ـ٨
٥ـ	المواطنة والوحدة الوطنية.	١١ـ٩
٦ـ	لغز الهوية الوطنية.	١٢ـ١١
٧ـ	ماهية الهوية الوطنية؟.	١٩ـ١٢
٨ـ	الجغرافيا والتاريخ.	٣٤ـ٢٠
٩ـ	صياغة الاستراتيجيات الوطنية.	٣٤ـ٣٤
١٠ـ	الخاتمة.	٣٥ـ٣٥

مدخل
(أسئلة الهوية الوطنية)

مدخل (أسئلة الهوية الوطنية)

قد يوحي العنوان ببداهة الموضوع، غير أن الواقع العلمي والمعاش يعارض ذلك تماماً. فالهوية وإن اعتقدنا بوضوح تعريفها فهي كثيرة التعقيد، متفرعة الجذور. وسبب ذلك يرجع إلى تداول هذا المفهوم بين حقول معرفية متعددة، إذ تجد في الفلسفة له نصيب، وعند علم النفس جزء منه معتبر، وعلم الاجتماع أخذه إجمالاً وتفصيلاً، حتى وصل المفهوم للعلوم السياسية والذي تناولته بتحديد خاص يتعلق بمقاربة منهجية للهوية الوطنية من حيث نشأتها والعوامل المحددة لها. إذ صنفها معجم العلوم الإنسانية ضمن الهويات الجماعية أي المشتركة وهي (التي ترتكز على منظومة من الأهداف والقيم والتجارب المشتركة).

سينصب اهتمامنا في هذه الورقة على الإجابة عن أسئلة تتيح لنا إدراك أصالة المفهوم وأهميته لبقاء الدولة وأمنها الوطني. مع تصفيته من شوائب القوميين العرب، وأولئك المتأثرين بالحركات الإسلامية. كما يضيف ولا يراكم على المدارس الغربية والشرقية التي تجاهلت سهواً أو عمداً التجربة السعودية الفريدة في بناء وصقل الهوية الوطنية. هذه الأسئلة من قبيل:

ما هي طرق نشوء الهوية الوطنية؟ وهل الهوية الوطنية واقع أم اختيار؟ وكيف نقرأ مفاهيم أخرى كالمواطنة والوحدة الوطنية هنا؟ وماذا عن التجنيس ومكانه من الهوية الوطنية؟ وما هو التعريف

الأمثل لمفهوم لهوية الوطنية؟ وأين يمكن وضع التجربة السعودية وامتدادها التاريخي؟ ومن ثم كيف تعمل الهوية الوطنية في صياغة الاستراتيجيات الوطنية؟

ركائز الهوية الوطنية

ركائز الهوية الوطنية

تُفرّق مدارس الفكر بين الهوية الفردية أو الشخصية والهويات الجماعية. فالهوية الشخصية كما أشار الدكتور شايع الوقيان لها في كتابه الهوية الشخصية هي (ما يجعل الشيء هو ذاته، رغم ما يعتريه من تغيرات منذ الولادة وحتى الممات) وهذه الهوية الفردية هي ما ركّز عليه علم النفس والفلسفة كذلك في بحث فردانيته وكون الشخص هو هو.

أما الهويات الجماعية فيندرج تحتها تصنيفات متعددة كلها مرتبطة بالمجموعات لا الأفراد. ومن تلك التصنيفات الهوية الوطنية إذ تُشير أدبيات علم الاجتماع والعلوم السياسية أن الهوية الوطنية لشعب ما تُستمد أساساً من القيم وهذا لا خلاف عليه. إنما يتأتى الخلاف من تساؤل عن ماهية تلك القيم؟ وهل هذه القيم مجتمعية أم هي قيم وطنية في حال سلمنا بالفارق بينهما؟

يعطي الفكر الثقافي القيمة مدلولاً معنوياً، وتعني كل ما يتمسك به فرد أو فئة اجتماعية، وبالتالي فهي ذات معنى نسبي حسب الأشخاص والجماعات كونها نابعة من الذات ومتأثره بها. ولكن يحكمها أنها مرتبطة بتحقيق الحاجات أو إرضائها. ولعل أوضح تعريف للقيم هي (الأفكار المجردة التي تضفي معنى محدداً، وتعطي مؤشرات إرشادية لتوجيه تفاعل البشر مع العالم) أما تطبيق تلك القيم فهو ما يسمى (بالمعايير التي هي قواعد السلوك التي

تعكس أو تُجسّد القيم في ثقافة ما).

وعلى عاتق التحليل والاستقراء تقع مهمة ضبط الإشكاليات في المفاهيم، ومنع الخلط فيها. ومن هنا نسعى لتقويض مفهوم الترادف والتساوي بين القيم المجتمعية والوطنية، ونجادل بأن الأولى قد تتغير طبيعياً بمرور الزمن دون ضرورة المساس في أصل المجتمع، وبنائه، وسلامة نمط حياته. في حين أن القيم الوطنية راسخة ويجب ألا تُمس لأن مهمتها الحفاظ على كينونة الوطن وأمنه.

إن لكل مجتمع صغر أو كبر قيمه الخاصة به والنابعة من معتقداته وتاريخه الاجتماعي والثقافي الموروث وحاضره المتجدد. والتي بدورها تنعكس على أفراده وتشكل خصيصة له تميزه عن غيره من المجتمعات. ولكن مما يجب ألا يتم إغفاله في التركيبة الديموغرافية للدولة الحديثة أن كثيراً من هذه الدول تضم بداخلها مجتمعات عدة لا مجتمع واحد. بل أن بعض القيم (قد تتناقض في المجتمع أو الجماعة الواحدة). ومن أمثلة هذه القيم المختلفة في مجتمعنا السعودي قيم: الكرم، والتعدد، والضيافة. وغيرها مما يتفاوت في قيمته أو يختلف في السلوك المعبّر عنه. وهذا الاختلاف يرسم فسيفساء مجتمعية جميلة في تنوعها، وأضفى طابعاً مميزاً لمثل هذه الدول. ونجد مثل ذلك في سويسرا، وماليزيا، وسنغافورة، وكندا والولايات المتحدة الأمريكية ومجتمعات الهجرة في معظم دول أوروبا كبريطانيا وفرنسا.

ومع ذلك ومن أجل سلامة المجتمع الكبير داخل الوطن؛ تعمل الدول على تعزيز القيم المشتركة بين فئاته، أو حتى موائمة هذه القيم المتفاوتة وتشكيل قيم مجتمعية متفق عليها. ومن أمثلة تلك القيم المُعَزّزة قيمة تقبل الآخرين، وكذلك قيمة المروءة، وهي قيم تميز الشخصية السعودية - كما ذكرت سعادة السفيرة آمال المعلمي في محاضرة لها - بمختلف فئاته. وصقل هذه القيم ووضعها في داخل هوية المجتمع السعودي من خلال جهود مشتركة من جميع المؤسسات الحكومية ولا سيما الداخلية والتعليم والإعلام والثقافة هو مسؤولية وواجب وطني مُلِّح.

أما تصورنا للقيم الوطنية فهي جذور راسخة تربطنا بالوطن، غير قابلة للتغير الطبيعي، إذ أن أي تغيير فيها يؤدي لزاماً لبلبلة أمنية تهز الدولة وقد تبدل حالها.

ومما لا يجب الشك فيه أن القيم الوطنية تستند إلى فهم القيم المشتركة والمُعزَزَة للمجتمع الكبير والتي هي المنبع الذي يُستقى منه. غير أن صياغة القيم الوطنية يتطلب تحديداً دقيقاً لثوابت الوطن وركائز بقاءه، مما يجعل من التضحيات الوطنية لأجل ذلك فضائل ذات معنى؛ وبالتالي فهي توجه سلوك المواطن تجاه وطنه لكونها حق وعدل فيتحقق بذلك ثنائية القيمة العالية والتطبيق المثالي. وعلى ذلك فإنه يجب أن تتمتع القيم الوطنية بخصائص تميزها وهي: الرسوخ بمعنى التجذر والثبوت في بُنية المجتمع، والاجماع ونعني به الإرادة العامة التي تضبط الصالح العام كما بيّنها

جـان جـاك روسـو - ومـن قبلـه جـون لـوك وتومـاس هوبـز - لا إرادة الجميـع كمـا ينظّـر البعـض.

إن الإرادة العامـة كمـا يراهـا مفكـرو العقـد الاجتماعـي هـي مـا يمثـل صالـح المجتمـع ككل، الصالـح العـام. وكأنهـم يتحدثـون عـن نظـرة شـاملة تغطـي كافـة الأبعـاد التـي تمـس مصالـح الدولـة، كالبعـد الاقتصـادي، والاجتماعـي، والعسـكري، وغيرهـا.

فمـن هـذا المنطلـق لا تُبنـى الهويـة الوطنيـة لدولـة مـا علـى قيـم مجتمعيـة قـد تتغيـر أو تختلـف داخـل الجماعـة الواحـدة فـضلاً عـن جماعـات أخـرى. إنمـا هـي منبثقـة لزامـاً مـن قيـم وطنيـة خالصـة مـن تاريـخ مشـترك للجماعـة الكبيـرة، وإجمـاع يحفـظ ركائـز بقـاء الدولـة وازدهارهـا. يقـول إيمانويـل كانـط (١٧٢٤ – ١٨٠٤): (الدولـة هـي توحيـد التعـدد البشـري تحـت قوانيـن تشـريعية).

نشأة الهوية الوطنية في الفكر الغربي

نشأة الهوية الوطنية في الفكر الغربي

فصّل الباحثون الغربيون في موضوع الهوية والهوية الوطنية تحديداً، لكونها حجر الزاوية في منظومة الدولة ومؤسساتها. فمنذ ظهور المفهوم في القرن السابع عشر (تناولته دراسات متعددة منها ما ركز على الربط بين الهوية الوطنية واستقرار الدولة، في حين ركزت أخرى على التمايز الثقافي في المجتمعات الغربية، بينما اعتبرت دراسات أخرى أن القضية الدينية هي المحور الرئيس لتحديد الهوية الوطنية). وإن كنّا نُسلّم بربط الهوية الوطنية باستقرار الدولة، والأهمية المحورية للدين فإننا نناقش بأن الاختلاف الثقافي هو قضية اجتماعية لا علاقة لها بالهوية الوطنية ولا يجب أن تعرقل صياغة هوية وطنية للدولة ومواطنيها.

لنشوء الهوية الوطنية عند فرانسيس فوكوياما أربع سبل رئيسة:

الأولى: بالقوة من خلال إرسال مستوطنين إلى أقاليم جديدة، أو إخلاء سكان إقليم ما قسراً. وحدث هذه في دول مثل أستراليا ونيوزلندا وتشيلي والولايات المتحدة.

الثانية: تتعلق بتغيير الحدود لتناسب تجمعات سكانية بلغة وثقافة واحدة، ويتحقق ذلك إما بالوحدة كما في حالة ألمانيا وإيطاليا في القرن التاسع عشر؛ أو بالانفصال كما هو في دول الاتحاد السوفيتي سابقاً.

الثالثة: استيعاب الأقليات السكانية في ثقافة أكبر، كما حصل مع المهاجرون للولايات المتحدة.

الرابعة: إعادة تشكيل الهوية الوطنية لتناسب الخصائص القائمة للمجتمع. ويضرب فوكوياما أمثلة على ذلك مع مؤسسا الهند غاندي ونهرو.

ويضيف أن (كل الأمم القائمة نتاج فرعي لتوليفة تاريخية محددة من السبل الأربع، وكلها اعتمدت على قدر من الإكراه والإجماع في آن).

ونستطيع أن نلحظ هنا أن فوكوياما خلط بين الهوية المجتمعية والوطنية فإن الطريقة الأولى والثالثة لم تصنع في الواقع هوية وطنية وما هي إلا مجرد هوية مجتمعية كانت بابتلاع جماعة وثقافة أخرى لتحل محلها جماعة موحدة مختلفة. بينما كانت الطريقة الثانية تمدداً أو انكفاءً للهوية الجمعية على جماعة موحدة أيضاً. ويمكن القول أن مدار فكرة فوكوياما لنشوء الهوية الوطنية هو التلاقي بين اللغة والثقافة فقط.

الهوية اختيار أم واقع؟

الهوية اختيار أم واقع؟

يذهب الاقتصادي والفيلسوف الهندي المعاصر أمارتيا صن للقول بأن الهوية هي اختيار (إن حرية أن نصل إلى قرار فيما يخص ولاءاتنا وأولوياتنا بين الجماعات المختلفة التي قد ننتمي إلى كل منها هي حرية مهمة بشكل خاص، وهي حرية نملك من العقل والقدرة على التفكير والمنطق ما يجعلنا نعترف بها ونقدرها وندافع عنها). وهذا الطرح سيكون مقبولاً في سياق مفهوم الهوية العام لا الهوية الجماعية ومنها الوطنية بلا شك! فمثلاً لو غيّر أحدهم معتقده الديني كمسيحي يتحول للإسلام باختياره، فهذا مقبول لكونه هوية فردية.

أما موضوع الانتماء والولاء، فلا يجب أن يكون إلا لوطن واحد، ولا يمكن أن يكون إلا كذلك. يحدده عاملان كما يراه المفكرون، وهما: حق الدم وهو السلالة التي تحدر منها أي الوطن الذي نشأ به أسلافه، أو بالتجنيس المُلزم قانونياً وتحت عين السلطة بالولاء للوطن الجديد. وكما ذكر فوكوياما مرة أخرى: (الجنسية بطبيعتها طريق باتجاهين: تمنح المواطنين حقوقاً تحميها الدولة، لكنها تلزمهم أيضاً بواجبات على رأسها الولاء لمبادئ الدولة وقوانينها). فالانصياع لقوانين الدولة والولاء لكيانها كافيان لدمج المتجنسون في الهوية الوطنية الصلبة والتي تتجاوز جزئيات اللباس والطعام لتكون ايماناً والتزاماً بشعار البلد وحكومته. إن الهوية الوطنية لا تلغي الهويات الفرعية الأخرى للفرد والجماعات ولكنها المهيمنة

عليها جميعاً. وهذا مقارب لفهم الفيلسوف الفرنسي ميشيل فوكو (١٩٢٦- ١٩٨٤) لهوية الفرد وعلاقتها بالسلطة، وتختلف معه بإن الهوية الوطنية هي المُشكَّلة بالسلطة، والمحفوظة بها، لتعزيز الانتماء للوطن وتحقيق مصالحه العليا. وعلى ذلك تكون الهوية الوطنية واقعاً لا خياراً، مُصانة بالسلطة وهي من تملك حق حفظها ورعايتها.

المواطنة والوحدة الوطنية

المواطنة والوحدة الوطنية

يرى الباحث الكويتي يعقوب الكندري أن مفهوم المواطنة أكبر من مفهوم الهوية الوطنية، ويحدد مفهوماً آخر يسميه (المواطنة الصالحة) يعني فيه انتماء وولاء للوطن والالتزام بقيم اجتماعية وسياسية واقتصادية ودينية وغيرها. ولا تتحقق برأيه المواطنة الصالحة من دون وجود هوية وطنية تغلب الهويات الفئوية والفرعية.

ويبدو أن الكندري قدّم خطأً المواطنة على الهوية الوطنية، ويتضح ذلك من صفة (الصالحة) التي أضافها على مصطلح المواطنة، فإن صفة الصالحة هنا تعني وجود الضد وهي المواطنة الفاسدة. وعليه أصبح لمفهوم المواطنة قسمين صالح وفاسد. وهذا لا يُقبل في الهوية الوطنية فهي مفهوم واحد لا يتجزأ.

ونعلم أنه قد يكون هناك مواطن صالح يدين بالولاء للوطن ويحترم القوانين، وهناك مواطن فاسد لا يحترم القوانين والأنظمة مع بقاء ولاءه وانتمائه للوطن.

فالأول حقق الهوية الوطنية وعليه يعوّل في الحفاظ على الوطن ومقدراته، ويحتاج الآخر إلى اصلاح وضبط للقيم والسلوك.

وبشأن الوحدة الوطنية فقد كتب الدكتور عادل بن عايض المغذّوي في بحث له (تعرّف الموسوعة العربية العالمية الوحدة الوطنية بأنها «تعبير قويم يعني حب الفرد وإخلاصه لوطنه الذي يشمل الانتماء

إلى الأرض والناس والعادات والتقاليد والفخر بالتاريخ والتفاني في خدمة الوطن. ويوحي هذا المصطلح بالتوحد مع الأمة».

كما تعرف الوحدة الوطنية بأنها «الشعور الجمعي الذي يربط بين أبناء الجماعة ويملأ قلوبهم بحب الوطن والجماعة، والاستعداد لبذل أقصى الجهد في سبيل بنائهما، والاستعداد للموت دفاعاً عنهما».

ويعرف الباحث مفهوم الوحدة الوطنية بأنه «توحد وتجمع كل أبناء الوطن الواحد، مهما اختلفت أيدولوجياتهم وتوجهاتهم الفكرية نحو وجدان ومشاعر ايجابية تدفعهم وتحفزهم إلى ممارسات وسلوكيات موحدة تجاه قضاياهم الوطنية والخارجية»).

ويلاحظ من هذه التعاريف، غياب الحد الفاصل بين الهوية الوطنية والوحدة الوطنية. وواقع الأمر أن الخلط بين هذه المفاهيم شائع فقد كتب الباحثان بونيكوسكي، ودي ميقو: (تستخدم مصطلحات الوطنية والقومية والهوية الوطنية بشكل غير متسق ومتداخل). لكن التعاريف أعلاه تخدمنا في بيان أن الوحدة الوطنية مفهوم اجتماعي ينضوي تحت إطار الهوية الوطنية وليس مساوي لها. فهو يتعلق بتعايش النسيج المجتمعي داخل الوطن كإقليم واحد يضم أفراد ومجموعات، ويعبّر عن التماسك بينهم في وجود مؤسسات تعزز الانسجام. ومما لا شك فيه أن تجسيد القيم المجتمعية المشتركة يقوي الوحدة الوطنية.

لغز الهوية الوطنية

لغز الهوية الوطنية

كما قلنا فإن كثيراً هي المراجع الغربية والشرقية بقدر أقل التي تناولت مفهوم الهوية الوطنية ونشوئها. غير أنها استقرأت ذلك من تاريخها الخاص وتصور منظريها باختلاف توجهاتهم وأيديولوجياتهم. في حين أن تاريخنا العربي والإسلامي لم يُفَكك بشكل مرض لاستخلاص مفهوم الهوية الوطنية للدول. مع الإشارة إلى أهمية ما كتبه الفيلسوف المغربي محمد عابد الجابري وهو أبرز من قام من الفلاسفة العرب بسبر أغوار مفهوم الهوية بطريق ينبع من الثقافة العربية والإسلامية. ومع ذلك فإن التركيز عنده كان بشمولية عربية دون تخصيص لهوية وطنية للدول. وربما مرد ذلك للفكر الإسلاموي عند هؤلاء. ودون ترك ما قدموه الفلاسفة بمختلف مشاربهم سنضبط المسار ليصب في فهم الهوية الوطنية السعودية بالذات، وسنقابل اسئلتنا الأولى بخصوصية تاريخنا الوطني وذلك بتجرد يهدف إلى تأصيل هويتنا الوطنية. باعتبار حقيقة ثابتة لا يمكن لعاقل تجاوزها وهي أن الجغرافيا والديموغرافيا للمملكة العربية السعودية تتحد لتقول إن العروبة والإسلام جاءا من هذه الأرض وهؤلاء الناس. وهي حقيقة يتغاضى عنها كثير من المفكرون العرب ومنهم برهان غليون المفكر السوري والذي وكما

كثـر غيـرة يتحـدث فـي كتابـه (الدولـة والديـن) عـن أزمـة الهويـة فـي نشـوء الـدول العربيـة وأن هـذه الـدول رغبـت بانـسلاخ يميزهـا عـن تراثها العربي والإسلامي! وهـذا اللبس عنـده وغيره يعود إلى تجاهل صـارخ أو جهـل فاضـح لملحمـة تأسـيس المملكـة العربيـة السـعودية وامتدادهـا التاريخـي.

ماهية الهوية الوطنية؟

ماهية الهوية الوطنية

في مقالة نشرتها جامعة أمستردام كتب رينيه جروتينيس عن نموذج ستيفن شولمان للهوية الوطنية والذي خلص فيه شولمان بأن الهوية الوطنية تنتج من ثلاثة مكونات هي الهوية المدنية، والهوية الثقافية، والهوية العرقية. وتنقسم كل هوية من تلك الهويات إلى **عناصر فرعية كما في الجدول التالي:**

مكونات الهوية الوطنية	العناصر الفرعية
الهوية المدنية	• المواطنة • الإقليم • الإرادة والقبول • الأيديولوجيات السياسية • المؤسسات السياسية والقوانين
الهوية الثقافية	• الدين • اللغة • العرف والتقاليد
الهوية العرقية	• الأسلاف والسلالة • العرق

حيث تعني المواطنة (الحقوق والواجبات القانونية للأفراد المرتبطة بالجنسية بموجب القانون المحلي). في حين أن الإرادة والقبول هنا تأتي بمعنى اقتناع ورضا بهذه الهوية وليست فقط نتيجة تلقائية للعيش داخل الوطن.

وعلى ذلك، فإن هذه الهوية كما كتب صامويل هانتنغتون (مهمة لأنها تشكل سلوك الناس)، ليضيف (لكلٍّ من الأفراد والمجموعات هويات. ويجد الأفراد، على أية حال، هوياتهم ويعيدون تعريفها داخل مجموعات. ومن ناحية أخرى، فإن هوية المجموعة عادة ما تتضمَّن خاصية محدِّدة أساسية وغير قابلة للاستبدال إلا نادرًا.. وإذا اختفى أساس الخاصية المحدِّدة للمجموعة، فربما لأن الهدف الذي خلقت من أجل تحقيقه قد تحقَّق، فإن وجود المجموعة يصبح مهدّدًا ما لم تجد المجموعة سببًا آخر لتحفيز أعضائها). وأوضح من ذلك ما ذكره سمو ولي العهد الأمير محمد بن سلمان في الحوار الذي أجرته مع سموه مجلة (أتلانتيك) في ٣ مارس ٢٠٢٢م: (إن دولتنا قائمة على الإسلام، وعلى الثقافة القبلية، وثقافة المنطقة، وثقافة البلدة، والثقافة العربية، والثقافة السعودية، وعلى معتقداتها، وهذه هي روحنا، وإذا تخلصنا منها، فإن هذا الأمر يعني أن البلد سينهار) وهذا مما يعزز من نظريتنا بأن الهوية الوطنية مرتكزة على قيم وطنية لا يجب أن تتبدل وتتغير. لكون أي تغيير فيها سيحدث تأثيراً على الأمن الوطني للدولة.

ومما ذكره هانتنغتون من أمثلة، الإتحاد السوفيتي ويوغسلافيا اللتان تفككتا بعد الارتباك الذي مس الهوية الوطنية لهما والتي كانت مبنية على الأيدلوجيا السياسية دون الاعتبارات الأخرى. ولنا في السودان ولبنان أمثلة حية على تهشم مفهوم الهوية الوطنية فيهما، مما سبب ثغرات خطيرة نتج عنها حرب أهلية وضياع للبلد

ومقدراتـه. إن الهويـة الوطنيـة للـدول مفهـوم رئيـس، ومحـرك لـكل اسـتراتيجية فيجـب أن تتصـف الهويـة بالتفـرد والرسـوخ ولا تقبـل التجـزيء.

إن قـراءة رينيـه جروتينيـس لنمـوذج شـولمان جعلتـه يضيـف، عنصريـن للهويـة الثقافيـة وهمـا الطبيعـة والمـوارد، إذ أنهمـا يشـكلان برأيـه جوانـب مهمـة فـي تشـكيل الهويـة الوطنيـة، مـع اسـتقلال الديـن كمكـون أكبـر مـن أن يندرج تحـت الهويـة الثقافيـة. عنـد التأمـل نجـد أن مـا وصـل لـه جروتينيـس يجعـل مـن هـذه المكونـات مجتمعـة الأرضيـة الخاصـة للقيـم الوطنيـة التـي تُبنـى عليهـا الهويـة الوطنيـة.

ليصبح النموذج المقترح بالشكل التالي:

مكونات الهوية الوطنية	العناصر الفرعية
الهوية المدنية	• المواطنة • الإقليم • الإرادة والقبول • الأيديولوجيات السياسية • المؤسسات السياسية والقوانين
الدين	المعتقدات
الهوية الثقافية	• اللغة • العرف والتقاليد • الطبيعة • الموارد
الهوية العرقية	• الأسلاف والسلالة • العرق

ونستطيع أن نصل لتعريف للهوية الوطنية بناءً على هذا النموذج حيث تكون الهوية الوطنية: (تركيبة متكاملة من المكونات الأربعة، الهوية المدنية، الدين، الهوية الثقافية، والهوية العرقية). ويستلزم ذلك تفكيك هذه المكونات لبيان ما هو مبهم منها، ثم نرى مطابقة ذلك مع ما نراه في هويتنا الوطنية السعودية.

أ. الهوية المدنية:

قدّمَ شولمان وأقره رينيه جروتيتنس الهوية المدنية على الهوية الثقافية والعرقية لكونها المكون الجامع في الهوية الوطنية، ولأن الهويات الثقافية والعرقية بل وحتى الدين قد تتعدد في دولة واحدة كخرز المسبحة وتضمها الهوية المدنية في خيط متين مكون من العناصر الخمسة الآنفة الذكر.

وبتحليل للعناصر الخمسة، نجد أن المواطنة، والإقليم، والإرادة والقبول تحدد مسألة الانتماء، أما فيما يتعلق بالأيديولوجيا السياسية فهي التوجه السياسي للنظام القائم في الدولة والممثل عن الشعب. ويحكم كل هذه المنظومة مؤسسات سياسية قائمة ومحل ثقة المجتمع، مع قوانين تضبط الداخل بين الناس وبينهم ومؤسسات الدولة.

ب. الدين:

دائماً ما يمثل الدين والمعتقدات الرابطة الوثقى بين أفراد المجتمع بمختلف فئاته. كتب أمين معلوف في كتابه الهويات القاتلة: (لا

العلم ولا أي عقيدة ولا أي نظام سياسي في اعتقادي سوف يرمي بالدين في غياهب التاريخ). وقد يتمتن ذلك ويشتد إذا وافق دين غالبية المجتمع دين السلطة الحاكمة عقيدة ومذهبا، ويتخلخل عند التباين بينهما. وتتكاثر الأمثلة على مثل هذا فواقع تركيا مع كمال أتاتورك وما بعده، وألبانيا أثناء حكم أنور خوجه، والاتحاد السوفييتي قبلهم حتى التفكك. وأما اختلاف المذاهب بين سواد المجتمع وسلطته الحاكمة فهناك أمثلة بينة وحديثة، فالعراق وسوريا واليمن، هي أمثلة على اضطراب الهوية الوطنية لدولة تعيش اختلافاً عقدياً بين السلطة والمجتمع. وفي المملكة العربية السعودية فإن الإسلام هو دين الدولة.

ج. الهوية الثقافية:

أولاً: اللغة. والتي عرّفها ابن جني المتوفى (٣٩١هـ): أنها أصوات يعبر بها كل قومٍ عن أغراضهم. واستشف رشيد الأركو من هذا التعريف في موقع شبكة الألوكة ما يلي:

(ذكر ابن جني في تعريفه الطبيعة الصوتية للغة بقوله: «حد اللغة أصوات». وأن وظيفة اللغة الأساسية هي الاتصال من أجل تحقيق الحاجات والأغراض. ولكلِّ قومٍ لغةً تخصهم. وأن اللغة ظاهرة اجتماعية، فهو إذًا يلغي فردية اللغة).

فاللغة ظاهرة اجتماعية للتواصل بين أفراد الجماعة ولا يمكن أن يكتسبها الإنسان منفرداً دون اتصاله بجماعة. وبالتالي فهي من أهم مميزات الجماعات، وتكتسب الدولة قوة في هويتها عندما يكون

جميع شعبها أو غالبيتهم يتحدث لغة واحدة. واللغة العربية هي اللغة الرسمية للمملكة العربية السعودية.

ثانياً: العرف والتقاليد. لكل مجتمع موروثه وقصصه ومروياته والتي شكلت عنده قواعد اجتماعية سميت بالأعراف تضبط العلاقات المتبادلة بين الناس. وقد أقر الإسلام هذه الأعراف متى ما كانت خيّره للمجتمع ولا تتعارض مع العقيدة. ومما رواه أبو هريرة رضي الله عنه وأخرجه البيهقي وأحمد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إنما بُعِثتُ لأتمِّمَ مكارمَ الأخلاقِ). وفي منظومة أعرافنا وتقاليدنا السعودية امتداد للإنسان العربي الذي سكن هذه الأرض واستوطنها من قبل الإسلام وبعده. فجاءت كثير من تلك التقاليد متوافقة مع نُبل الأخلاق التي يبشر بها الإسلام.

ثالثاً: الطبيعة. في مقدمته كتب ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ) عن تأثير الهواء في ألوان البشر والكثير من أحوالهم وأخلاقهم. ليأتي بعده بأربعة قرون الفيلسوف الفرنسي مونتيسكيو (ت ١٧٥٥م) ويؤكد تأثير المناخ على البشر. وهذا الأمر مما يُرتاح إليه بالبديهة، فالأرض والمناخ لهما تأثير على شخصية الناس وطبيعتهم العامة.

رابعاً: الموارد. ذكر جروتينيس تأثير التجارة على بلده هولندا، ونرى ذلك في البريطانيين مع عصر الصناعة والابتكارات، أما الصناعة الكبرى والعريقة فبرع فيها الألمان. فكل دولة تشكل الموارد جزء من هويتها الثقافية.

د. الهوية العرقية:

وفي هذا المكون أشار معجم العلوم الإنسانية إلى أطروحة حديثة صدرت في عام (٢٠٠٤م)، تقول (أن للأفراد الذين يقطنون في كل منطقة من العالم جزءاً مشتركاً من إرثهم الجيني). أضافة لتأثير الإثنية الكبرى من تاريخ وعادات وإرث، كل هذا يحدث تناغم وتضافر في التأثير مما يصنع هوية متفردة عن غيرها. وفي المملكة العربية السعودية سيادة للعرق العربي، بل من هنا منبعه وأساسه. وهذه الغالبية الكبرى من النسيج العربي استطاعت أن تدمج معها عرقيات أخرى، انسجمت بارتياح وتناغم معه.

الجغرافيا والتاريخ

الجغرافيا والتاريخ

إن السير على طريق التاريخ طويل، ومحاولة الاحاطة بجغرافية المملكة هو موضوع كبير. وتكفي الإشارة لبعض أهم المراحل التي أثرت في الهوية الوطنية للمملكة العربية السعودية.

١. الجاهلية والإسلام:

لا يكاد يوجد من يخالف تميز العرب بالشعر والبلاغة واهتمامهم بها حتى أنهم عظّموا قصائد المعلقات، يقول ابن خلدون: (حتى انتهوا (أي العرب) إلى المناغاة في تعليق أشعارهم بأركان البيت الحرام موضع حجهم وبيت إبراهيم كما فعل امرؤ القيس بن حجر، والنابغة الذبياني، وزهير بن أبي سلمى، وعنترة بن شداد، وطرفة بن العبد، وعلقمة بن عبدة، والأعشى وغيرهم من أصحاب المعلقات السبع) وأصحاب المعلّقات عشرة برغم تباين الرواة في عددهم: امرؤ القيس، وزهير بن أبي سلمى، وطرفة بن العبد، ولبيد بن ربيعة، وعمرو بن كلثوم، وعنترة بن شدّاد، والحارث بن حلّزة، والأعشى ميمون بن قيس، والنابغة الذبياني، وعبيد بن الأبرص. وكلهم من نجد في منتصف الجزيرة العربية وإن اختلفوا في ميلاد امرؤ القيس.

هذه البيئة العريقة منبع فصاحة العرب، وخلاصة قيمهم كما جاءت في معلقاتهم هي منطلق الدولة السعودية.

وعندما جاء الإسلام برسالة الدعوة؛ فقد حمل معها رسالة الدولة تطبيقاً لمعنى الاستخلاف في الأرض. قال تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة ٣٠]، وقال عزّ من قائل: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص ٢٦]. وقوله سبحانه: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل ٦٢].

وكثير من الآيات الدالة على إعمار الأرض والتي لا يمكن أن تتم إلا بدولة قائمة. وكان هذا أول أعمال رسول الله صلى الله عليه وسلم السياسية عند قدومه للمدينة. حيث كتب صحيفة المدينة المنّظمة للعلاقة بين المسلمون مهاجرون وأنصار وأهل يثرب من يهود ومن اتبعهم. وبعد ملاحم كبيرة في سيرته صلى الله عليه وسلم، لم يتوفاه الله حتى اكتمل الدين وتأسس بنيان الدولة العربية الإسلامية. إن الحديث عن اكتمال بناء دولة جمعت العرب تحت لواء سياسي، وقيادة واحدة، ومنطقة جغرافية معينة، إنما برز وتجلى في آخر عهده صلى الله عليه وسلم.

٢. دولة العرب والإسلام الأولى:

﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة ٣] رغم تعقيدات وصعوبة المرحلة التي تلت وفاة المصطفى عليه الصلاة والسلام، بيد أنها كانت الدليل الأبرز على أهمية بقاء الدولة وارتباط ذلك بالدين. وبدت معالم الهوية السياسية للدولة بالظهور، وقد بيّنت حروب الردة كما أُصطلح عليها حقيقة هذا المفهوم عن الدولة. فواقع الأمر أن القبائل العربية المرتدة انقسمت بعد وفاته صلى الله عليه وسلم لثلاثة أقسام: (قوم كفروا وعادوا إلى ما كانوا عليه من عبادة الأوثان، وقوم آمنوا بمسيلمة - ومدعيّ النبوة -، وطائفة منعت الزكاة وقالت: ما رجعنا عن ديننا، ولكن شححنا على أموالنا).

وقد اعتبر كثير من المستشرقون أن حروب الردة كانت حروباً لأسباب سياسية واقتصادية، في جهل منهم بمفهوم الترابط العقدي في الدين الإسلامي. ومن هؤلاء الألماني (يوليوس فلهاوزن)، والإيطالي (ليون كايتاني). في حين نجد أن المستشرق البريطاني (وليام مونتغمري وات) يقرأ المشهد بنظرة واضحة فيكتب: (في الردة، كانت العوامل السياسية والدينية تمتزج بحيث لا يمكن الفصل بينها...فالردة كانت حركة ابتعاد عن النظام الإسلامي دينياً، اجتماعياً، اقتصادياً، وسياسياً، وعليه فهي ضد الإسلام).

وقد ذكر ابن كثير في تاريخه خطبة أبي بكر الصديق رضي الله عنه في حرب الردة والتي أوضحت معالم الدولة الإسلامية والتي نوردها

بطولها لأهميتها: (روى الحافظ بان عساكر لما كانت الردة قام أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال الحمد لله الذي هدى فكفى، وأعطى فأغنى، إن الله بعث محمداً (صلى الله عليه وسلم) والعلم شريد، والإسلام غريب طريد، قد رث حبله، وخلق عهده، وضل أهله منه، ومقت الله أهل الكتاب فلا يعطيهم خيراً لخير عندهم، ولا يصرف عنهم شراً لشر عندهم، قد غيروا كتابهم، وألحقوا فيه ما ليس منه، والعرب الأميون صفر من الله لا يعبدونه ولا يدعونه، فأجهدهم عيشاً، وأضلهم ديناً، في ظلف من الأرض مع ما فيه من السحاب، فجمعهم الله بمحمد (صلى الله عليه وسلم) وجعلهم الأمة الوسطى نصرهم بمن اتبعهم، ونصرهم على غيرهم، حتى قبض الله نبيه.

فركب منهم الشيطان مركبه الذي أنزله الله عنه، وأخذ بأيديهم، وبغى هلكتهم «وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين». إن من حولكم من العرب منعوا شاتهم وبعيرهم، ولم يكونوا في دينهم وإن رجعوا إليه أزهد منهم يومهم هذا، ولم تكونوا في دينكم أقوى منكم يومكم هذا، على ما قد فقدتم من بركة نبيكم (صلى الله عليه وسلم)، ولقد وكلكم إلى المولى الكافي، الذي وجده ضالاً فهداه، وعائلاً فأغناه، «وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها». والله لا أدع أقاتل على أمر الله حتى ينجز الله وعده، ويوفي لنا عهده، ويقتل من قتل

منا شهيداً من أهل الجنة، ويبقى من بقي منا خليفته وورثته في أرضه، قضاء الله الحق وقوله الذي لا خلف له «وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض» ثم نزل، رحمة الله).

وفيها يؤكد أبو بكر الصديق رضي الله عنه على (٤) أمور مهمة:

١. أن العرب كانوا شتات وجمعهم الله بمحمد صلى الله عليه وسلم فنشأت لهم دولة تجمعهم، وتلم شعثهم، (فجمعهم الله بمحمد (صلى الله عليه وسلم) وجعلهم الأمة الوسطى).

٢. ربط بعض العرب الدولة الإسلامية بشخص الرسول صلى الله عليه وسلم، فلما توفاه الله انفلت عقال الدولة وهنا ذكّر الصديق بقوله تعالى: «وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين».

٣. أكّد رضي الله عنه أن منع الزكاة هو خروج عن سلطة الدولة التي بناها رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن من حولكم من العرب منعوا شاتهم وبعيرهم، ولم يكونوا في دينهم وإن رجعوا إليه).

٤. الاستخلاف بالأرض يعني إعمارها وبناء دولة هكذا فهم الصديق الآية الكريمة (ويبقى من بقي منا خليفته وورثته في أرضه، قضاء الله الحق وقوله الذي لا خلف له «وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض»).

٣. الحكم العربي والدولة في العصور اللاحقة:

منذ انتهاء حروب الردة وحتى قرب نهاية خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه لم تتعرض الدولة العربية الإسلامية لخطر يمس تكتلها الوطني. وجل ما تعرضت له مواقف خلافية فقهية ومالية. غير أن مقتل عثمان رضي الله عنه بانقلاب على رأس هرم الدولة، صاحب رسول الله وزوج ابنتيه أطلق فتنة سياسية لا دينية لم يطفئها تولي علي بن أبي طالب رضي الله عنه للخلافة، ولم تنته إلا مع تنازل ابنه الحسن بن علي لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم في أواخر ربيع الأول سنة (٤١هـ). ومعه تأسست الدولة العربية الأموية التي دامت ما يزيد على (٩١) سنة لتنتهي أيضاً بعد تكاثر الثورات على الحكم الأموي والتعرض لشرعية الدولة. لتبدأ الدولة العربية العباسية حكمها في سنة (١٣٢هـ) واستمرت إلى سنة (٦٥٦ هـ) بمقتل الخليفة عبدالله المستعصم بغزو خارجي على يد هولاكو المغولي. على أن الضعف والهوان نال من الدولة العباسية قبل هذا الغزو بكثير.

فيرى المؤرخون أن الدولة العباسية مرت بأدوار خمسة، تمركزت قوتهم فيها بالدور الأول الذي استمر لمئة سنة منذ (١٣٢هـ) وحتى وفاة الخليفة الواثق سنة (٢٣٢هـ). فتسرب الضعف لها ونهشتها الاضطرابات مع خمول الخلافة ووقوع الملك بيد سلاطين من الأتراك، والبويهيين، ثم السلاجقة على التوالي.

ونخلص من هذه الإلماحة التاريخية إلى أن الهوية المجتمعية المتغيرة للشعوب لم تكن ذات تأثير يُذكر في سقوط الدول العربية، وإنما كان الطعن والمساس في الهوية الوطنية للدولة وأساسها هو معول الهدم لها.

٤. الدولة السعودية:

في نفس المقابلة مع مجلة (أتلانتيك) قال سمو ولي العهد: (لقد جاءت الأسرة المالكة السعودية قبل ٦٠٠ سنة، كأسرة حاكمة، حيث أسسوا الدولة السعودية قبل ٣٠٠ سنة، ثم انهارت لمدة سبع سنوات، ثم عادت مرة أخرى، وانهارت لمدة ١٠ سنوات، ثم عادت مجددًا، وقد تعلمنا الكثير من الدروس، وتطورنا، كما تطور النظام، وكل جيل يأتي، يأتي بناءً على نظام أساسه هذه السلطات الثلاث، وعندما يأتي ملك جديد، يأتي ولي عهد جديد، ولا يحاولان تقويض هذه السلطات؛ لأن هذه هي قوة السعودية). لقد أسس الإمام محمد بن سعود الدولة السعودية الأولى سنة (١١٣٩هـ / ١٧٢٧م) بهوية عربية إسلامية خالصة، أصبحت فيها الدرعية نموذجاً للحكم العربي الإسلامي الأول. فعاشت الدرعية أولاً (استقراراً داخلياً فكانت تُعد نداً قوياً للأمارات الأخرى. وبالتالي فإن ميثاق الدرعية - على ما له من أهمية كبيرة - قد يوصف على أنه كان تنظيماً وتأطيراً لغاية عظيمة احتملتها أسرة آل سعود الكريمة. فهذه القابلية الجلية لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في بنية مجتمع الدرعية حاكماً ورعية الذي ابدى ابتهاجه بهذه الدولة

الناشئة؛ تشير بوضوح إلى استشعار حقيقي من سكان هذه البلدة لضرورة نشوء كيان سياسي قادر على بسط الأمن والاستقرار في المنطقة الصغيرة حولهم على الأقل، وهم الذين شاهدوا مركزية وقوة للدول والأمارات في مناطق أخرى من الجزيرة، وحنّوا إلى ماض عريق في التاريخ الإسلامي أمنّت فيه الدولة الإسلامية هذه الأراضي والسبل إليها).

ووصولاً لعهد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود رحمه الله والذي استعاد ملك ابائه وأسس دولته الحديثة على وشائج متينة (ليأتي الحلم الوطني ويصدر الملك عبد العزيز في (١٧ جمادى الأولى عام ١٣٥١هـ) الأمر الملكي تحت رقم (٢٧١٦): بعد الاعتماد على الله، وبناء على ما رفع من برقيات من كافة رعايانا في مملكة الحجاز ونجد وملحقاتها، ونزولاً على رغبة الرأي العام في بلادنا، وحباً في توحيد أجزاء المملكة العربية أمرنا بما هو آت:

المادة الأولى: تحول اسم «المملكة الحجازية النجدية وملحقاتها» إلى اسم «المملكة العربية السعودية»، ويصبح لقبنا بعد الآن «ملك المملكة العربية السعودية»). ولأن الاسم هو أول معبّر للهوية أصبح السعودي يعني ولاء وبيعة لبيت آل سعود الكرام، وتقديراً وامتناناً لجهود الأئمة والملوك منهم في جمع سكان المملكة العرب الاقحاح في دولة عربية إسلامية من تاريخهم وثقافتهم ومجتمعهم لم تتغير فيها هويتهم الثقافية بمفهومها الأعم منذ عهده صلى الله عليه وسلم، لا يقبلون عنها نظاماً بديلاً ولا فكراً مستوردا.

ومما ذكره سمو ولي العهد أيضاً: (لا أستطيع تغيير السعودية من ملكية إلى نظام مختلف، وذلك لأن الأمر مرتبط بملكية قائمة منذ ثلاث مئة سنة، وقد عاشت هذه الأنظمة القبلية والحضرية التي يصل عددها إلى ١٠٠٠ بهذا الأسلوب طيلة السنوات الماضية، وكانوا جزءًا من استمرار السعودية دولة ملكية. من بين أفراد العائلة المالكة، هنالك أكثر من خمسة آلاف فرد من عائلة آل سعود. وأعضاء هيئة البيعة اختاروني لكي أحمي المصالح الخاصة بالملكية، وتغيير هذا الأمر يعد خيانة لأفراد عائلة آل سعود، وكذلك خيانة للقبائل والمراكز والهجر وانقلابًا عليهم، وكل هذه المكونات تساعد على إحداث تغيير في السعودية، ولهذا فإنني لا أعتقد أنهم هم من يتسببون في إبطاء وتيرة التغيير، بل هم الأدوات التي تساعدني على القيام بالمزيد).

هنا لابد من القيم الوطنية الصريحة فبدونها يحصل إضعاف للهوية الوطنية، بل وقد يصل إلى تشويهها. واستجابة للدواعي الملحة نستطيع أن نحدد قيمنا الوطنية السعودية بالتالي:

أ. الإسلام الحقيقي:

أكد خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز في كلمته التي ألقاه في مجلس الشورى سنة (٢٠١٧): (أنه لا مكان بيننا لمتطرف يرى الاعتدال انحلالاً ويستغل عقيدتنا السمحة لتحقيق أهدافه، ولا مكان لمنحل يرى في حربنا على التطرف وسيلة

لنشر الانحلال). هذا التأكيد على الاعتدال الإسلامي كركيزة ثابتة في الدولة السعودية، هو ما شدد عليه أيضاً سمو ولي العهد حينما قال: (نحن نرجع إلى تعاليم الإسلام الحقيقية، التي عاش بها الرسول عليه الصلاة والسلام والخلفاء الأربعة الراشدين، حيث كانت مجتمعاتهم منفتحة ومسالمة، وكان عندهم مسيحيون ويهود يعيشون في تلك المجتمعات، وأرشدتنا هذه التعاليم أن نحترم جميع الثقافات والديانات بغض النظر عنها. وهذه التعاليم كانت مثالية، ونحن راجعون إلى الجذور، إلى الشيء الحقيقي).

وفي لقاءه التلفزيوني مع عبدالله المديفر أكد سموه على أن دستور المملكة هو القرآن الكريم والسنة النبوية بالمتواتر منها، وأن نهجها هو النهج الصحيح للقرآن والسنة.

هذا التحديد الدقيق لمعنى الإسلام المعتدل الحقيقي، والذي تبين فاعليته وجدواه في التطور الواضح للدولة السعودية في جميع شؤونها العامة والمجتمعية والخاصة. يستلزم أن يكون قيمة وطنية نحافظ عليها، ونعيش ونموت عليها. إن إغلاق باب الاجتهاد، أو الاعتماد على مدارس دينية بعينها يصنع التطرف والتكلس المعرفي والقيمي والاقتصادي حتى. ولأجل هذا فإن العودة للجذور الحقيقية يعني ارتباطاً بالقيم الأصيلة.

ب. السعوديون والحرمان الشريفان:

منذ بداية العهد السعودي في دولته الأولى ناصب أشراف مكة - والذين كان نفوذهم في نجد في طور الاضمحلال - العداء للدولة الحديثة. وذكر ابن بشر أن الشريف مسعود بن سعيد قد سجن حجاج نجد سنة (١١٦٢هـ). ويؤكد الدكتور عبدالله العثيمين (أن المصادر تتفق على أن الشريف مسعود بن سعيد منع أنصار الدعوة من أداء الحج. وقد سار خليفته، أخوه مساعد على هذا النهج). ولقد استمر هذا النهج العدائي سنوات طوال، يتحسن أحياناً قليلة فيسمح لهم بالحج، ليعود أكثر شراسة بالمنع لفترات أطول.

حتى جاءت سنة (١٢٠٥هـ) فأرسل الشريف غالب حملة عسكرية ضد الدولة السعودية مؤيداً من الدولة العثمانية لكنها فشلت فشلاً ذريعاً. ليعود الشريف مرة ثانية في سنة (١٢١٠هـ) بحملة كبيرة وصلت لعالية نجد لتنهزم أمام القوة السعودية. لتقرر القيادة السعودية دخول مكة المكرمة خصوصاً بعد الانتصارات المذهلة لها، وانضمام المناطق والقبائل للحكم السعودي. وفي آواخر سنة (١٢١٧هـ) تحرك الأمام سعود بن عبدالعزيز إلى مكة وعسكر خارجها حتى ينتهي موسم الحج، ليدخلها دون قتال في الثامن من محرم سنة (١٢١٨هـ) وذلك في عهد والده الإمام عبدالعزيز بن محمد. وليستتب الحجاز تحت حكم آل سعود في سنة (١٢٢٠هـ) بدخول المدينة المنورة تحت الراية السعودية.

هـذا التاريـخ الممتـد للدولـة السـعودية فـي الأراضـي المقدسـة، والمعاملـة المثلـى مـع المعارضيـن لهـا، جعلـت مـن كل الحجـاز فـي شـوق للحكم السـعودي بعـد انهيار دولته الأولى والثانية. فلم تنس الذاكـرة التاريخيـة لمواطنـي تلـك المناطـق عهـد العقيـدة الصحيحـة، والحكـم العـادل لدولتهـم الأولـى. ليأتـي عهـد المؤسـس للدولـة السـعودية الثالثـة الملـك عبدالعزيـز بـن عبدالرحمـن آل سـعود ويعيـد توحيـد الحجـاز، لتعـود مكة المكرمة تحت حكمه فـي السـابع عشـر من ربيـع الأول سـنة (١٣٤٣هـ)، ثـم المدينـة المنـورة فـي الثامـن عشـر مـن جمـادى الأولـى سـنة (١٣٤٤هـ).

ومنـذ ذلـك الحيـن يتعاهـد أبنـاء الملـك ملـوك المملكـة العربيـة السـعودية رعاية الحرميـن الشـريفين وحماية قاصديهما. ويكون لقب ملـك المملكة العربية السـعودية هـو خـادم الحرميـن الشـريفين. إيمانـاً بهـذا الواجـب الدينـي، واحتمـالاً لهـذه المسـؤولية العظيمـة. فتُسـخر لهما كل إمكانـات الدولـة، والمـوارد البشـرية والماديـة تقربـاً لله تعالـى. حتـى أصبحـت هـذه المسـؤولية قيمـة وطنيـة بذاتهـا داخـل وجـدان كل سـعودي، يعيـش لهـا وقـد يمـوت لأجلهـا، فلا انفـكاك مـن ذلـك أبداً.

ج. الملكية المطلقة والبيعة الدينية:

تجمـع أغلـب كتـب التـراث الإسـلامـي والتاريخـي، علـى أن الإسـلام لـم ينـص علـى نظـام حكـم بعينـه لرعايـة شـؤون النـاس. لا في القـرآن الكريـم ولا فـي السـنة المطهـرة. وللمتتبـع التاريخـي، والمتفحـص للنصـوص أن

يستنتج ذلك من قراءة مشهد تولي الخلفاء الأربعة للحكم في الدولة الإسلامية.

إذ كان الجدال منذ يوم السقيفة هو جدال سياسي لا ديني، فتعددت أساليب الحكم عندهم فقد تولى عمر بن الخطاب بعهد إليه من أبو بكر الصديق رضي الله عنهما، فترشيح ستة من الصحابة لولاية الحكم بعد عمر، ثم فتنة مقتل عثمان بن عفان وتولي علي بن أبي طالب رضي الله عنهما للحكم.

ولم تعش الدولة الإسلامية حالة الاطمئنان المجتمعي إلا بعد تولي النظام الملكي في عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما للحكم وانسيابية التولي بعد ذلك. وما كانت القلاقل التي حدثت في التاريخ الطويل للدولتين الأموية والعباسية إلا لشأن نزاع على السلطة بين فئات متعددة تنظر للحكم لا للبشر.

يرتبط هذا التاريخ الممتد بالطبيعة البشرية لأهل هذه المناطق، وتعددهم بقبائل وعوائل كثيرة، لا يمكن لها أن تقيم دولة دون التوحد تحت راية واحدة، لأسرة مالكة ارتضوها وآمنوا بها. إن السجل المذّهب للحكم السعودي منذ نشأته، وتمدده، وفتوحاته، يؤكد على أن الولاء لا يشترى وإنما هو قناعة ورضا تام بعدالة الحكم وسؤدده، وحرصه على أبناء وبنات الوطن، ونموه وازدهاره.

على مر ثلاثة قرون هي تاريخ هذه الدولة، يترسّخ يوماً بعد يوم في صدور الناس داخل حدودها المباركة أن الإرادة العامة لمواطنيها

ستبقى تردد: بايعنا على (السمع والطاعة في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وعلى أثرة علينا، وعلى ألا ننازع الأمر أهله) لبيت الحكم من آل سعود كما ارتضوه هم كأسرة حاكمة.

وهكذا يظهر جلياً بأن الملكية المطلقة، هي قيمة وطنية متجذرة، وراسخة، ولا بديل عنها. يجب أن تكون ضمن الهوية الوطنية للسعوديين.

ويمكن لنا الآن أن نرسم شكلاً يوضح بناء هويتنا الوطنية ليكون بالشكل التالي:



وتشكل الطبقة الأولى، قيم متنوعة داخل المجتمع الواحد أو المجتمعات في الدولة الحديثة. مثل الدين والمذاهب، واللغة، والكرم، والإيثار، واحترام الكبير..ألخ.

أما الطبقة الثانية، فهي القيم المجتمعية الشاملة والتي تحرص الدولة على دعمها داخل المجتمع الكبير، مثل: الدين الجامع، واللغة، وتقبل الآخر، وحسن الجوار..ألخ.

الطبقة الثالثة، هي ما ينبغي أن يتحلى بها كل مواطن، وتتأكد الدولة من ذلك. مثل: الإسلام المعتدل، النظام الملكي، خدمة الحرمان الشريفان وقاصديهما.

وتكون الطبقة الرابعة صياغة للهوية الوطنية للمملكة العربية السعودية، وهي الإيمان والاعتزاز بديننا الإسلامي الحقيقي، والتمسك بنظامنا السياسي الحاكم، والالتزام ببيعة ملك هذه البلاد وولي عهده، والتشرف بخدمة الحرمين الشريفين وقاصديهما تحت أنظمة الدولة وقوانينها.

صياغة
الاستراتيجيات الوطنية

صياغة الاستراتيجيات الوطنية

لكل دولة من دول العالم نماذجها الخاصة في صياغة استراتيجياتها الوطنية. غير أن كل أدبيات هذا العلم، تؤكد على أن مستند هذه الاستراتيجيات والموجه لها، هو ما يسمى بالغرض الوطني والذي يعنون به القيم الوطنية الخالصة التي تبني عليها الدول مصالحها الوطنية. وتختلف هذه المصالح من استراتيجية لأخرى تبعاً لطبيعة عمل الجهات المصدّرة لها. ومع ذلك فإن ما يجعلها تعمل بشكل متناغم هو قيمها الوطنية الخالصة والتي لا تحيد عنها. فإذا لم تخدم تلك المصالح الهوية الوطنية فلا ينبغي أن تُقّر.

كتب ريتشارد روميلت أستاذ الإدارة والاستراتيجيات المعروف (من أجل إحداث تأثير فعال، يجب أن تكون الإجراءات متسقة ومبنية على بعضها البعض، بما يؤدي إلى تركيز الطاقة التنظيمية). ولأجل ذلك فإن النظام الأساسي للحكم، ورؤية المملكة ٢٠٣٠، هما مصدران أساسيان عند بناء أي استراتيجية أخرى لأي جهة. مع اعتبار استراتيجية الأمن الوطني في حال صدورها المنطلق لذلك، كونها ستحتوي ضرورة على القيم الوطنية للمملكة العربية السعودية، الصانعة للهوية الوطنية.

الخاتمة

الخاتمة

نخلص من هذا كله، أن الأوان قد حان لتجاوز الاعتماد على مفاهيم مستوردة دون عرضها على تراثنا الإسلامي، وتاريخنا، وثقافتنا، وجغرافيتنا. لنصنع لنا هوية وطنية خاصة بنا، منبعها تلك المنطلقات التي تستند عليها كل المنظومة في مؤسسات الدولة لدعمها وتعزيزها. إن أساس الهوية الوطنية هي القيم الوطنية الراسخة والعميقة، لا القيم الأخلاقية والمجتمعية المتغيرة والمتفاوتة. نحن في المملكة العربية السعودية نشكل نموذجاً فريداً، يتمتع بمزايا مختلفة عن نماذج كثيرة في العالم. لا نرغب بتصديره، لكننا ملزمون في الحفاظ عليه بأرواحنا وأموالنا. فهو ما يصنع هويتنا ويجعلنا سعوديون بفخر وامتنان.